

المجالس العلمية | سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول | درس

93 / 03 | أ.د. أحمد القاضي

أحمد القاضي

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى. اما بعد فقد تقدم معنا ذكر مراتب الايمان بالقدر. وذكر انقسام الناس في هذا الباب الى طرفين ووسط. فاهل السنة جماعة وسط في افعال في افعال الله تعالى - [00:00:07](#) بين الجبرية الذين غلوا في اثبات افعال الله حتى سلبوا العبد فعله ومشيئته. وبين القدرية الذين غلبوا في اثبات افعال العباد حتى قالوا العبد يخلق فعل نفسه اما اهل السنة والجماعة فقالوا للعبد مشيئة وارادة لكنها داخلية تحت مشيئة الله وارادته - [00:00:27](#) بدليل قول الله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين. فكانوا وسطا بين طرفان وعدلا بين عوجين وهدى بين ضالتين والايمان بالقدر هو نظام التوحيد كما قال ابن عباس فلا يمكن ان يحقق الانسان التوحيد الايمان - [00:00:53](#) ولذا قال ابن عباس فمن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده فلا يمكن ان يكون الانسان موحدا وهو مكذب بالقدر كيف يزعم ان العبد يشارك الله اه ويستقل او يستقل عنه بمشيئة او خلق - [00:01:19](#) ولاجل ذا اطلق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يصححه او يحسنه بعض اهل العلم ويجعله بعضهم موقوفا على القدرية انهم مجوس هذه الامة لماذا لماذا كان فيهم شبه بالمجوس؟ لان المجوس - [00:01:43](#) من عموم بني ادم هم الذين يثبتون خالقين اله النور يخلق الخير في زعمهم واله الظلمة يخلق الشر. فلا يعرف من بني ادم احد اثبت خالقين الا التنوير او الثانوية من المجوس - [00:02:05](#) وهؤلاء القدرية الذين يقول قائلهم العبد يخلق فعل نفسه يثبت خالقين مع الله بعدد الناس فكأن كل انسان يستقل بخلق افعاله بنفسه دون الله. تعالى الله عما يقولون وشبهتهم في ذلك ايها الكرام ارجو ان تنتبهوا لها. شبهتهم في ذلك انهم يقولون - [00:02:22](#) كيف يقدر الله تعالى عليهم ثم يعذبهم او يثيبهم اذا هم لا يكونون مستحقين للعقوبة ولا مستحقين للثواب اذا كان ذلك مقضي عليهم مقدر عليهم منذ الازل وهذه شبهة ساقطة - [00:02:48](#) والجواب عنها سهل. وهو ان يقال ان الله سبحانه انه لا تعارض بين قدر الله السابق واثبات افعال العباد لما لان هؤلاء العباد المكلفين لا يعلمون بسابق كتابهم فما احد منهم اطلع على اللوح المحفوظ ووجد فيه انه قد قضى عليه بكذا وكتب عليه كذا وكذا - [00:03:07](#) بل اخفي عنهم ذلك واظهر لهم الشرع. وقيل لهم اعملوا واتاهم الله تعالى من الادوات والالات ما يتمكنون به من الفعل او الترك فهم فيما يأتون وما يذرون يفعلونه بمحض اختيار وسبق اصرار. وبهذا يكونون مستحقين للثواب والعقاب - [00:03:36](#) وتتحل بذلك اه شبهة هؤلاء بل وتتحل ايضا شبهة الجبرية فان الجبرية اه يستدلون القدر السابق او بعضهم يستدل بالقدر السابق على ترك الواجبات وفعل الطاعات. على ترك الواجبات وفعل المحرمات. ويقول هذا قدر الله - [00:03:58](#) كما تسمعون من بعض البطالين والعطالين في هذه الازمنة من اذا قيل له يا فلان اتق الله وصلي. اركع مع الراكعين. قال لو كتب الله لي صلاة لصليت. الا تؤمنون - [00:04:26](#) القدر واذا شرب خمرا او اكل ربا ووعظ وقيل له اتق الله ولا تشرب الخمر ولا تأكل الربا فماذا يقول؟ يقول هذا امر قد كتبه الله. هذا امر قد قضاه الله في الازل. فيحتج بقدر الله على معصية الله - [00:04:42](#) فهل يتم لهم الاستدلال بالقدر على دعواهم؟ الجواب لا هذه الدعوة دعوة قديمة قد حكاها الله تعالى عن المشركين الاوائل. فقال

سبحانه سيقول لو شاء الله ما اشركنا ولا ابأؤنا ولا حرمننا من شيء. اليس كذلك؟ هل هناك فرق بين مقالتهم - [00:05:02](#) قالت من حكينا من بعض المعاصرين لا فرق. كلهم يستدل بالقدر السابق. سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما ولا ابأؤنا ولا حرمننا من شيء. هو فعلا لو شاء الله ما اشركوا ولا ابأؤهم ولا حرمنوا من شيء. لكن هل يتم لهم الاستدلال - [00:05:29](#) ويصح منهم الاحتجاج بالقدر السابق ام لا؟ الجواب لا فقد رد الله تعالى عليهم في الآية بثلاثة ردود فقال اولاً كذلك كذب الذين من قبلهم كسبنا الله مقالتهم كذبا والكذب هو مخالفة الخبر للواقع - [00:05:49](#) ثم قال ثانياً حتى ذاقوا بأسنا ولو كان لهم حجة في القدر ما اذاقهم الله بأسه. لان الله حكم عدل مقسط لا يظلم مثقال ذرة ثم جاءت الثالثة الناسفة لشبهتهم ودعواهم فقال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ اي هل اطلعتم على كتابكم - [00:06:12](#) فوجدتم في اللوح المحفوظ انكم تشركون وتحلون ما حرم الله وتحرمون ما احل الله؟ هل اطلعتم طبعاً لم يطلعوا ولم يشاهدوا. وانما فعلوا ما فعلوا بمحض اختيار وسبق اسراء ومعاداة ومخالفة للرسول - [00:06:34](#) اذا ما حقيقة امركم ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون فهكذا قل مثل ذلك في وجه كل مبطل مجادل آآ يريد ان يحتج بقدر الله على معصية الله - [00:06:55](#) اذا قال لك هذا امر قد كتبه الله. قل له متى علمت؟ ان هذا كتاب الله عليك. اقبل الفعل ام بعده هل يستطيع ان يقول قد علمت هذا قبل ان افعل - [00:07:11](#) لا واني له ذلك. لا يستطيع. انما علم ان هذا قدر الله عليه بعد صدور الفعل منه. وهو قبل ان يصدر منه الفعل قيل له اياك ثم اياك. هذا حرام تأثم به ويريدك النار - [00:07:24](#) اتى ما اتى عن علم وبينه فصار حقيقة بالعقوبة والعذاب فلا اظن لا ظلم وما ركب بظلام للعبيد خرج النبي صلى الله عليه وسلم مرة باصحابه في جنازة رجل فجلس وجلسوا حوله - [00:07:40](#) وقال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل ارايتم هذا الخاطر يمكن ان يخطر حتى لدى افضل الناس وهم الصحابة - [00:08:04](#) لما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بان الله قد فرغ من العباد وقضى منذ الازل فريقا في الجنة وفريق في السعي قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعدهما من الجنة واما من النار. قالوا اذا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ يعني - [00:08:23](#) سائرون الى ما قضي علينا فهل اجابهم وقال لهم لا بأس اكلوا على كتابكم ولا تشقوا على انفسكم. لم يفعل ذلك مع انه بالمؤمنين رؤوف رحيم من قال لهم لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له - [00:08:45](#) اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ثم تلا قول الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى سنيصره لليسرى. واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيصره للعسرى لا تجد اجمل واجمع من الاجوبة النبوية والقناعات القرآنية - [00:09:06](#) تجد كلاما مختصرا جامعاً مانعاً يغني عن شرح كثير. كقول الله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين بينما يخطط المتكلمون في هذه القضايا وبشرقون ويغربون ولا يخرجون بطائل بل يزيدون الامر عناية وضلالة - [00:09:30](#) الاجوبة القرآنية والنبوية في غاية الوضوح والبيان. فاستمسك بها ففيها برد اليقين وانفلاج الصدور ومما يجاب به على هؤلاء الذين يحتجون بقدر الله على معصية الله في ترك الواجبات او فعل المحرمات ان يقال له ان يقال لهم - [00:09:52](#) انتم في اموركم الدنيوية لا تحتجون بالقدر السابق بل تبحثون وتفعلون ما عن ما يلائمكم. فاذا اقبل الشتاء لبستم الملابس الثقيلة واذا جاء الصيف تخففتهم منها لم؟ قالوا لو لم نفعل ذلك لاصابنا البرد لقلنا - [00:10:16](#) فلو قلنا لهم ان كان الله كتب عليكم بردا فسوف يصيبكم ولو لم تستدفنوا. ما قبلوا ذلك لو قيل لاحدهم اقعد في بيتك ولا تتجشم مشقة الخروج في نحر الظهيرة في شدة الحر او - [00:10:36](#) في الصباح في شدة البرد فان كان الله قد كتب لك رزقا فسيأتيك ولو في قعر بيتك. هل يقبل ام يذهب يزاحم بمنكبيه وركبتيه ويقدم اوراقه في كل دائرة ويبحث عن العلاوات والترقيات مع ان كل شيء بقدره - [00:10:55](#)

فهم في امورهم الدنيوية لا يعتمدون على القدر السابق اذا اصاب احدهم بمرض ماذا يصنع؟ يذهب الى الاطباء يشتري الادوية فلو قيل له لا تفعل يا فلان ان كان ان الله قد كتب لك شفاء فستشفى ولو لم تذهب لطبيب ولو لم تتعاطى - [00:11:14](#) اه دواء يقال كلا لا بد من فعل اسباب توصلني الى الشفاء كل هذا حاصل مع انهم يحتجون بقدر الله في الامور الدينية هذا تناقض بل ارأيت لو قلت لاحدهم - [00:11:37](#)

لا تكلف نفسك بالمهر والزواج وتكاليف النفقات على الزوجة. ان كان الله قد قسم لك ذرية فسيأتون اليك ويطلقون عليك الباب ويقولون نحن اولادك وقيل هذا لعد ذلك ظرب من الجنود - [00:11:55](#) وقال لا لا يمكن ان تحصل ذرية الا بزوجة ونكاح الى اخره حتى تحصل الذرية فهم في امورهم الدنيوية المعاشية لا يحتجون بالقدر. فكيف يحتجون به بالقدر في امورهم الدينية - [00:12:16](#)

يقال لهم يا سبحان الله الذي نصب الاسباب الدنيوية المعاشية هو الذي نصب الاسباب الدينية الشرعية فعليكم ان تأخذوا بالاسباب لتصلوا الى المسببات وتأملوا يا ايها الكرام ويا ايها الكريمات ومن بلغ كيف ان الله تعالى لم يجعل للعباد حجة يمكن ان يحتجوا بها على الله - [00:12:34](#)

حجة واحدة وهي الحجة الرسالية. فقال سبحانه رسولا مبشرين ومنذرين. لان لا يكون للناس على الله حجة بعد لو كان في الاحتجاج بالقدر حجة لا مكان لهذه الاية فائدة صح - [00:13:01](#)

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول. الشيء الوحيد الذي يمكن ان يعتمد عليه الله ويقبله ان يقول قائل ما جاءنا من بشير ولا نذير فلماذا ارسل الله الرسل - [00:13:20](#)

لانه لا احد احب اليه العذر من الله اعذر الى عباده فلو كان في القدر حجة لما كان في ارسال الرسل فائدة فهذا معنى تنبه له وعموما فان هؤلاء متناقضون في الواقع مع انفسهم. ولكن شبهاتهم هذه - [00:13:36](#)

لا تنطلي على اهل العلم والايمان. فلما رفع سارق الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. امر بقطع يده فصاح السارق وقال يا امير المؤمنين انما سرقت بقدر الله - [00:13:57](#)

لكن على من؟ على عمر؟ فقال عمر رضي الله عنه ونحن نقطع يدك بقدر الله قال شيخنا مضيئا وبشرع الله يعني ان يده تقطع بقدر الله. وبشرع الله لان الله تعالى قال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما - [00:14:12](#)

لا يمكن لاحد ان يبطل الشرائع والاسباب بدعوى القدر بهذا يتبين ان امر القدر بين واضح صاف عند اهل العلم والايمان واعلموا يراعكم الله ان الناس في العلاقة بين الشرع والقدر قد انقسموا الى اربعة اقسام مشركية - [00:14:31](#)

ومجوسية وابليسية ثم القسم الرابع هم اهل الحق دائما هذي معضلة العلاقة بين الشرع والقدر اما المشركية فهم الذين اقرروا بالقدر وانكروا الشرع وانما سموا مشركية تشبيها لهم بالمشركين الذين قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا ابأؤنا ولا حرمننا من شيء. ان اطعموا - [00:14:54](#)

ولو يشاء الله اطعمهم فهم مقرون بالقدر لكنهم رادون للشرع بحجة اه اقرارهم بالقدر. فمن شابههم في هذه الامة فيقال عنهم مشركية. من يقابلهم في هذه الامة الجبرية طيب الصنف الثاني - [00:15:25](#)

المجوسية وهم الذين اقرروا بالشرع وانكروا القدر ويقابلهم في هذه الامة القدريية. فالقدريية من المعتزلة ومن سبقهم يعظمون الامر والنهي ولكنهم ينكرون القدر ينكرون القدر ويقولون من اثبت القدر السابق فقد وصف الله بالظلم اذ كيف يقدر ويقضي ثم يعذب - [00:15:47](#)

فلماذا يقولون العبد يخلق فعل نفسه فسموا مجوسية تشبيها لهم بالمجوس الذين اثبتوا خالقين الصنف الثالث الابليسية نسبة الى شيخهم ابليس وذلك ان هؤلاء يقرون بالشرع وبالقدر. لكن يزعمون ان بينهما تناقضا - [00:16:14](#)

وان هذا خلاف الحكمة كما وقع من ابليس. ابليس كان يقول فبعزتك لاغوينهم اجمعين ارايتك هذا الذي كرمت علي خلقتني من نار وخلقته من طين. مقر بان لله القدر السابق. ومقر ايضا بان من من شأن الله ان - [00:16:41](#)

يأمر وينهى؟ السجد لمن خلقت طينا لكنه يرى ان ذلك خلاف الحكمة. وان ذلك تناقض فمن شابه هؤلاء من الزنادقة في هذه الامة فانه ينمى الى هذه الفئة كما يقع من بعض من يعترض على - [00:17:03](#)

الكتاب ويزعم ان فيها تناقضا كقول احدهم يد بخمس مئتين عسجد ودبت ما بالها قطعت في ربع دينار فيجيبه احد اهل السنة عز الامانة اغلاها وارخصها ذل الخيانة فافهم حكمة الباري - [00:17:22](#)

فهؤلاء موجودون وهم الذين يزعمون التناقض بين الشرع والقدر وكيف وكيف الى اخره وينشرون اه الشبهات والشائعات بقي اهل الحق وهم الذين اقرؤا بالشرع والقدر على وجه لا لا تناقض فيه ولا تعارض - [00:17:41](#)

في هذا قال الناظم رحمه الله والسادس الايمان بالقدر فايقنا بها ولا تماري لما حضرت عباد ابن الصامت رضي الله عنه الوفاة دعا بابنه وقال يا بني انك لن تبلغ طعم الايمان ولن تذوق حلاوته. حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك. وما اخطأك لم يكن -

[00:18:01](#)

ليصيبك يا بني انك لو مت على غير هذا ما افلحت ابدا فعليك يا عبد الله ان تؤمن بالقدر. ثم اعلما يا رعاكم الله ان الايمان بالقدر له ثمرات عظيمة. لو لم يكن منها الا - [00:18:26](#)

السكينة والطمأنينة التي يسكنها في قلب صاحبه لكفى. تأملوا قول الله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها. ان ذلك على الله يسير. ما الثمرة - [00:18:42](#)

لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اناكم. يعني لا تفرحوا فرح اشر وبطأ. والله لا يحب كل مختال فخور تجد المؤمن اذا اصابته مصيبة تجلد وتصبر وقال انا لله وانا اليه راجعون. ما اصاب من مصيبة الا باذن الله. ومن يؤمن بالله يهدي قلبه. قال علقمة -

[00:19:01](#)

هو العبد تصيبه المصيبة في علم انها من عند الله فيرضى ويسلم. يقول في خاطره هذا امر قد قضاه الله منذ الازل وكتبه قبل ان يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة. لا فائدة من الندم والتحسر. هذا امر مقضي مكتوب - [00:19:26](#)

حتى انك لتجد من بعض العامة الذين لا يضعون سوادا في بياض عندهم من اليقين ما ليس عند بعض حملة اللقب الاسماء فهذا امر ايماني يقيني يلقيه الله تعالى في القلب - [00:19:47](#)

ايضا ولا تفرحوا بما اناكم يعلم الانسان اذا وقع له امر مفرح ان هذا ابتلاء من الله. تأملوا بين قارنوا بين رجلين قارون وسليمان. قارون اتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة. اولي القوة. فقط المفاتيح المفاتيح لا يكاد يحملها تسعة رجال. فكيف -

[00:20:03](#)

فلما قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين. شمع بانفه وقال انما اوتيته على علم عندي بحذقي ودهائي وكياستي وحسن تدبيرى كما يفعل بعض الناس الان الذين يجرون معهم مقابلات في الفضائيات وغيره - [00:20:30](#)

عن سيرتهم الذاتية يأخذ يطنب في امجاده الشخصية ولا يقول ولا كلمة ان الفضل لله هذا المشهد يتكرر بينما سليمان عليه السلام في مجلسه ايكلم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين؟ فينبغي عفريت من الجن - [00:20:51](#)

قل انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك. الله اكبر. من صنعاء اليمن الى بيت المقدس ينقل عرش ملكة سبأ في ظحوة قبل ان يقوم من مقامه. لا هناك عرظ اعلى - [00:21:09](#)

قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك. يعني في غمضة عين وانتباهتها فاذا العرش بين يديه ماذا قال؟ كيف كانت ردة فعله قال هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر. هكذا موقف المؤمن عند الابتلاء - [00:21:23](#)

هذا هو معنى قول الله تعالى. فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمك. انا كريم على الله. انا من عنصر مميز واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن انا هين على الله ليس لي حظ انا تعيس انا كذا انا كذا من هذه - [00:21:43](#)

مباراة المحبطة التي تسمعونها احيانا. فقال الله تعالى كلا اي ليس الامر كما تظنون. فليس عطاؤنا دليل الكرامة وليس منعنا دليل الهوان. بل الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صهيب قال عجا لامر المؤمن ان امره كله له خير. ان اصابته سراء -

وشكر فكان خيرا له. وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له. وليس ذلك لاحد الا للمؤمن اه ثم انه قال لا نوعى ولا عدوى ولا طير ولا عما قضى الله تعالى حولا. يبين رحمه الله ان هذه الامور التي كانت - [00:22:31](#)

يعتقدها اهل الجاهلية مؤثرة بطبعها انها لا حقيقة لها. فلا نوم اشارة الى الذين كانوا يعتقدون انهم يمطرون بالانواء كما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم مرة اصحابه حينما اصابه - [00:22:53](#)

مطر في الحديبية فقال اتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله اعلم. قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فمن قال مطرنا بنا كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب. ومن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب. ولا - [00:23:10](#)

اي لا يجوز ان يعتقد الانسان ان العدوى مؤثرة بطبعها لكن لا شك ان العدوى سبب من الاسباب. ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تورث الابل الممرضة على الابل الصحاح - [00:23:30](#)

ولا طير لا علاقة للطيور السعد والنحس كما كان يعتقد اهل الجاهلية في الجوانح والجوانح باليوم والغراب وغير ذلك فلا طير. عما قضى الله تعالى حول لا غول لا هامة لا ولا صفر - [00:23:45](#)

كانوا يقولون اذا تغولت الغيلان وهي اشكال تتراعى لهم في البرية فيعتقدون بها وكذا الهامة ولا صفر اما ان يراد به الشهر او غيره فكانوا يتشائمون بشهر صفر كما بدا اخبر سيد البشر. فالشرع الحنيف يصون العقل عن الخرافات والخزعبلات والظنون آآ السيئة -

يحفظ العقل والوجدان والظمير والقلب من ان يكون في مهب الريح تتلاعب به هذه الخرافات ونسأل الله تعالى ان يرزقنا علما نافعا وعملا صالحا ويقينا راسخا. صلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - [00:24:32](#)